من كتب الغرب

محمد صالح الشوربجي

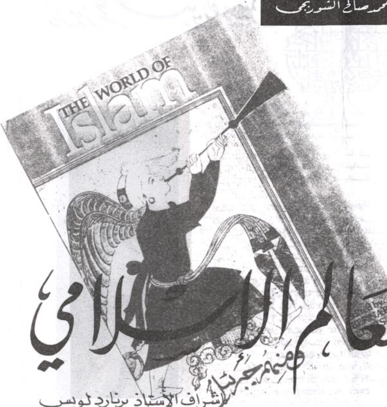

العالم الإسلامي

ومنعم جبريا

بإشراف الأستاذ برنارد لويس

الدكتور محمد حسين هيكل

● الدكتور محمد حسين هيكل ... رجل قانون وعرفته مصر كاتبا ... باعتباره أديبا مصريا بحتا في روايته (زينب)

فاذا العالم العربي يعرف قدره كاتبا ثم تزيد المعرفة حين أصبح رئيسا لتحرير السياسة اليومية والسياسة الاسبوعية ثم ملاحق السياسة الاسبوعية ٠

كان لسان الاحرار الدستوريين ٠٠ لم يكن اقطابه يعرفون ولكن لطفي السيد عرفه اليهم ، فاذا هو أصبح من اكابرهم رئيسا لتحرير جريدته ثم رئيسا للحزب ووزيرا للمعارف ورئيسا لمجلس الشيوخ حين كانت السياسة الجديدة في أوج مجدها ٠٠ كنا نحن العرب نخشاها تدعو الى الفرعونية وتتصرف الى الغرب حتى اذا أخرج الدكتور هيكل (حياة محمد) بعد أن نشر في ملاحق السياسة ترجمة كاملة لكتاب « درمنجهام » الفرنسي فاشرق له وجه جديد زاد الاعجاب حبا فلما أخرج كتابه (منزل الوحي) عن حجه وزيارته زاد الحب حبا كان راجح العقل عف اللسان لم أر مصريا يعف عن الطعن في مصري الاهو والدكتور احمد امين ، ولم يكن مولعا بالقومية العربية أن عرف للملك عبد العزيز رحمه الله قدره ومكانته فأصبح صديقا للسعودية ـ فلم يتنكر اليها وأصبح في ثبت العلماء والادباء والساسة رجلا كبيرا ٠

يقع كتاب العالم الاسلامي في أكثر من ثلاثمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، وضحت مادته بحوالي خمسمائة صورة ولوحة وخريطة تبرز المعالم الرئيسية في الحضارة الاسلامية ، وتاريخ الاسلام منذ نشأته حتى عصرنا هذا .

وقد أشرف على جمع وتاليف هذا الكتاب باللغة الانجليزية ، وقدم له وكتب خاتمة الفصل الاول فيه الاستاذ برنارد لويس الاستاذ بجامعة برنستون الامريكية ، وعضو معهد الدراسات العليا بها .

والكتاب ممتاز طباعة واخراجا وفنا ، يغطي موضوعات متفرقة تتكامل في اعطاء القارىء صورة واضحة عن ذلك العالم الاسلامي ، الذي ظل لمدة طويلة ، اما مجهولا بالنسبة للقارىء الاوربي او الغربي ، أو عرضة للخطا عن جهل ، أو التحريف عن سوء قصد وتضليل . فقد رسب في عقل الاوربيين وغيرهم الكثير من المفاهيم الخاطئة عن عالمنا الاسلامي منذ الحروب الصليبية ومابعدها .

ويبقى علينا الان ان نصحح هذه المفاهيم الخاطئة أو المضللة ، كي يعرف العالم حقيقة ديننا وثقافتنا وعلمنا ، وماأسهم به أسلافنا في الحضارة البشرية ، وماقدموه من علم وفن في شتى مجالات الحياة ومهرجان العالم الاسلامي خطوة موفقة في هذا السبيل ، بما قدم من معروضات ، وبما نشر من كتب ومطبوعات ، ان شابها شيء ـ الا انها تعطي فكرة واضحة عن امتنا التي أسهمت هذا الاسهام الضخم في تقدم الانسان وفي صنع حضارته وتطويرها .

ويضم الكتاب ثلاثة عشر فصلا ، كتب كلا منها استاذ متخصص في احد فروع الدراسات الاسلامية في الجامعات الاوروبية والامريكية المختلفة .

في تصديره للكتاب يعرض الاستاذ برنارد لويس لمفهوم المسيحية القديم للاسلام وعدم اعترافها به كدين مستقل ، وحقيقة تاريخية ، واشارة المسيحيين الى المسلمين بأسماء بلادهم ، ثم تطور الامر فأصبحوا يسمونهم المحمديين ، الا أنه منذ عصر النهضة بذلت محاولات جادة لتعلم لغة المسلمين والتعرف على دينهم وحضارتهم وتاريخهم وثقافتهم ، وتقدم الفصول القادمة بعضا من ذلك وبعض السمات المميزة للعالم الاسلامي ومنجزاته وقد حاول الكتاب أن يعطي التاريخين الهجري والميلادي للاحداث التي تناولها ، على أساس أن السنة الهجرية الاولى تبدأ يوم السادس عشر من يولية عام ٦٢٢ ميلادية

ويبدأ الكتاب بمقدمة تعطي فكرة عن الدين الاسلامي والشعوب الاسلامية ، تعقبها فصول عن قلب العالم الاسلامي وفترة عظمته ، أي الشرق الاوسط وشمال أفريقيا ، منذ ظهور الاسلام ، في القرن السابع الميلادي ، حتى أعقاب الغزو المغولي في القرن الثالث عشر .. ثم فصول أخرى تتناول الحكومة والفن والادب والموسيقى والعلوم وشئون الحرب .

وتتناول فصوله أربع مناطق كبرى محددة هي : اسبانيا ، وبلاد فارس ، والعالم العثماني ، ثم الهند ، ويناقش في النهاية تأثير العرب على الاسلام وتفاعله معه ، وردود فعل وتجاوب الشعوب الاسلامية تجاه ذلك .

ويرى الاستاذ برنارد لويس أن اعظم منجزات الحضارة الاسلامية هو الفن الذي يستطيع الاجنبي أن يحصل منه على مالايستطيع أن يحصل عليه الا بعد دراسة لغوية مطولة ومضنية ، ويركز الكاتب في عرضه للتاريخ الاسلامي بعد وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين ، على دولة الامويين ، والعباسيين ، ثم على الفاطميين ، واسبانيا الاموية ، والمغول ، وعصر مابعد المغول حيث تركز العالم الاسلامي في العثمانيين والمماليك والصفويين والهند المغولية ، ثم منطقة براري اوراسيا جنوب روسيا ووسط آسيا ، هذه الفترة تمثل توسع العالم الاسلامي وتقهقره في مناطق متعددة .. فقد طرد المسلمون من الاندلس ومن

بعض الطلبة يدرسون القرآن الكريم في افغانستان

صقلية ، وتعرض شمال افريقيا للغزو الاسباني ، والبرتغالي في حين وصل العثمانيون بالاسلام الى أسوار فيينا ، ثم أجبروا على التراجع بعد ذلك ، وفي شرق أوربا مد المسلمون سلطانهم الى موسكو لفترة من الزمن ، وانتشر الاسلام في جنوب شرق آسيا على يد التجار من الهند وشبه الجزيرة العربية .

في مقدمة الكتاب يبين الكاتب كيف نزل الوحي على الرسول ، وكيف بدأ دعوته للاسلام بين أهله وعشيرته ، ثم في الجزيرة العربية التي كانت تقع بين الامبراطوريتين العظيمين حينئذ .. والصراع بينهما ، وان اللغة العربية كانت لغة أهل الجزيرة جميعا رغم أنهم لم يخضعوا جميعا لوحدة سياسية واحدة ، كانوا وثنيين ، يعبدون الاصنام ، وان كانت بينهم أقليات نصرانية أو يهودية أو على ملة ابراهيم .

هجرة الرسول ، في رأي المؤلف ، هي اللحظة الحاسمة في رسالته ، اذ أصبح يجمع بين الرسالة النبوية والسلطة الزمنية ، بعد أن كان داعية لدين الله فحسب في مكة .. يتضح ذلك من نشاطات الرسول عليه السلام ، ومن الايات القرآنية التي نزلت بمكة تتعلق أساسا بفلسفة الدعوة والاخلاق الاسلامية ، بينما تتعلق الآيات المدنية بالشئون الشرعية والسياسية وبالمشكلات الحياتية اليومية ، ثم يبين كيف استمر الرسول يدعو الناس وينشر دين الله حتى فتح الله عليه مكة ، وأرسى دعائم الدين ، وأقام مجتمعا جديدا ، يؤمن بكتاب أنزل من عند الله ، ودين يهتدي به الملايين من البشر .

ويشرح الكاتب طبيعة الاسلام والدولة الاسلامية ، وفلسفة التوحيد ، وان الاسلام هو آخر مرحلة في الصراع بين التوحيد والشرك ، وأن الرسل الذين سبقوا محمدا كانوا مسلمين لأن الاسلام هو تكملة لما سبقه ، الا أنه يرى أنه تاريخيا يمكن أن يكون بداية جديدة أساسا لدين جديد ، لامبراطورية جديدة وحضارة جديدة ، كما يرى أن هناك خلافا جوهريا بين حياة الرسول ، وبين حياة المسيح ومن سبقه من الرسل ، في أن الرسول عليه السلام قد حقق في حياته نجاحادنيويا ملحوظا ، وأرسى دعائم الدولة الاسلامية ذات السيادة ، التي أصبحت نواة لامبراطورية . كان الرسول يصدر في كل تصرفاته عن وحي يوحى له ، فسلطته وقانونه من عند الله ، الذي أرسله بكتابه ورسالته للمؤمنين من عباده . أما المسيح ــ وما زال الرأي للكاتب ــ فقد علم الناس أن يعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، أي أنه فصل بين الدين والدنيا ، لذلك نرى الفصل واضحا بين السلطة الدينية متمثلة في الكنيسة وبين السلطة الزمنية التي كانت تتمثل في الامبراطورية البيزنطية ، وبوفاة محمد اكتمل دين الله .. الا أن الحفاظ على الدين والدفاع عنه كان يحتاج الى قوة عسكرية وأخرى سياسية ، الى سيادة الدولة .

بموت الرسول اختيرأبو بكر خليفة للمسلمين ولم يكن لدى المسلمين سابقة سياسية يهتدون بها في هذا الشأن ، وبذلك ترسخ مبدأ انتخاب الخليفة ، وظلت قاعدة انتخاب خليفته هي أساس العقيدة والشريعة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين . وكانت البيعة تقوم على أساس من أسبقية الدين ، وأن اكرمكم عند الله اتقاكم ، دون ما نظر الى حسب أو نسب ، هكذا كان الامر مع أبي بكر وعمر ، الا أن عثمان كان ينتمي الى واحدة من أعرق عشائر مكة ، وكانت خلافته نصرا وفرحة للارستقراطية المكية ، لم تتردد في انتهازها .

وأعقب ذلك انقسام المسلمين والفتنة الكبرى ثم قتل عثمان وعلي ، والحروب التي قامت بين المسلمين بعضهم بعضا ، والتي انتهى أمرها بقيام الدولة الاموية ، ونقل مقرها الى الشام ، وظهرت الشيعة لعلي وأولاده ، وفكرة التضحية والاستشهاد والتكفير ، وما تلاها من تفرق كلمة المسلمين ، وتطور الشيعة من حزب سياسي الى مذهب ديني ·· كل ذلك كانت نتيجته ترسخ الملك في الدولة الاسلامية ، وامتدت الفتوحات الاسلامية شرقاوغربا الى شعوبوبلاد ذات حضارات قديمة ·

ثم دالت دولة الامويين ، وقامت الدولة العباسية ، متخذة بغداد حاضرة لامبراطورية أحدثت تغيرا عظيما في نظام الحكم ، اذ أنهت سيادة العنصر العربي ، وظهرت عناصر اسلامية أخرى ، شاركت في الحكم ، وبذلك بدأت الشعوبية ، لكن الدين الاسلامي واللغة العربية ظلا وسيلة الاتصال بينهم ، والرابطة المشتركة التي تميزهم ، بعد أن امتدت الامبراطورية الاسلامية شرقا الى حدود الهند والصين ، وغربا الى الاندلس ، ثم مالت الدولة الاسلامية الى التعايش السلمي مع الدول غير الاسلامية على حدودها ، وان ظلت فكرة الجهاد هي الروح الكامنة في وجدان المسلمين ، لكنها أخذت طابعا دفاعيا أكثر منه هجوميا ·

ثم تفتتت الامبراطورية الاسلامية ، واستقل بعض حكام أقاليمها وتوارثوا الملك ، ووقع الخلفاء تحت سيطرة كبار قوادهم العسكريين ، الا أننظرية الوحدة الاسلامية ظلت سائدة تتمثل في وحدة الدين واللغة والثقافة ، ومناهج الحياة والفنون حتى في عصور الضعف والانحدار ، وحلت اللغة العربية محل اللغات المحلية للبلاد التي فتحها الله للاسلام ، واصبحت لغة الحكم والتجارة والتعليم ·

وبالهام الاسلام واللغة العربية ، تطورت ثقافة حية أصيلة أبدعها رجال ونساء من مختلف الاجناس والبلاد ، تحمل طابع التعبير العربي وطريقة التعبير به ، وكذلك القيم الاسلامية ومعاييرها ، وساعد ذلك في عمليتي الاستيعاب والتعريب ·

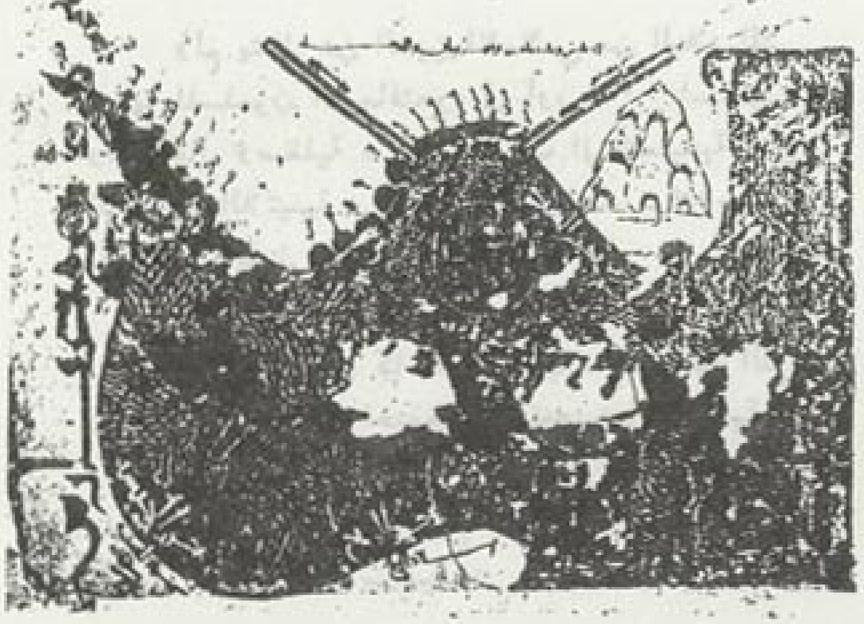

خريطة الاصطخري للخليج العربي

خريطة الاصطخري لاسبانيا في شمال افريقيا

ولم يتخل عن الدين الاسلامي من البلاد التي فتحها المسلمون الا مافتحوه في أوربا ٠٠ اسبانيا والبرتغال وصقلية ، التي تحولت الى المسيحية والى الحضارة اللاتينية ، ومع ذلك فقد ترك بها المسلمون آثارا لاتمحى لامجادهم ٠

الا أن فارس كانت هي البلاد الوحيدة التي دخلت الاسلام ، واحتفظت بشخصيتها القومية ، وكان لها من رصيد خبراتها ومهارات شعبها وحضارتها ، ماجعلها تسهم مساهمة جبارة في تطوير الحضارة الاسلامية ٠

كذلك لعب الفرس دورا هاما في انتشار الاسلام في وسط آسيا ، وفي ازدهار الثقافة الاسلامية ، والادب العالمي الاسلامي باللغة العربية لكنهم احتفظوا في نفس الوقت بلغتهم التي مالبثت أن عادت الى الظهور بحروف عربية ، بعد فترة من الزمان ، مختلطة بالكثير من اللغة العربية ، ومع ذلك فهي فارسية لاتخطئها العين ، وبضعف الخلافة ، برزت فارس ثانية على المسرح السياسي وتولت أسرات فارسية الحكم في كثير من البلاد ، وتطورت الثقافة الفارسية ، منساقة مع أذواق القصور الملكية الفارسية ، تعكس حسا يقظا لهذه الثقافة داخل الاسلام ، واستعمل الفرس اللغة العربية كلغة ثانية كبرى ، هي لغة أدب الاسلام العالمي ، وظلت كذلك للامور الدينية والشرعية ، اما الى الشرق البعيد من ايران ، فقد سادت اللغة الفارسية ، وأصبحت الاعمال الادبية الفارسية التقليدية هي أساس التعليم ونموذج النبوغ الادبي ٠

وحلت محنة العالم الاسلامي حين تعرض لغزوات المغول والتتار المدمرة شرقا وللحملات الصليبية المتتالية من الغرب ، علاوة على هجمات الفرنجة في الاندلس ، والبدو والبربر من الجنوب وكان من أهم غزاة العالم الاسلامي ، الاتراك الذين أتوا من الشمال ، وأقاموا دولة اسلامية عظمى جددت فكرة الجهاد في الاسلام ، وحملت الدعوة الاسلامية الى بلاد جديدة شاسعة في آسيا وأوربا ، وأصبح رجالها أبطال الاسلام الفعليين ، حمل محمود الغزنوي الاسلام الى الهند حيث نما وازدهر ، كذلك سيطر الاتراك السلاجقة على أراض جديدة من الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى ، هاجروا اليها واستقروا بها ثم أسموها تركيا ، وتابع خلفاؤهم العثمانيون تقدمهم غربا في أوربا وبنوا امبراطورية استمرت حوالي خمسة قرون ، أثر وأعظم الممالك الاسلامية ٠٠ فيما فتحت شعوب تركية أخرى مناطق أخرى من براري أوراسيا الكبرى ، شمال بحر قزوين والبحر الاسود ووصلوا شمالا وغربا الى بولندا وفنلندا ، واعتبر الاوربيون سقوط القسطنطينية نهاية العصور الوسطى ٠

وبغزو المغول للاراضي الاسلامية وتدمير بغداد حاضرة العالم الاسلامي بدأت مرحلة جديدة ونقطة تحول في التاريخ الاسلامي ، لكن المغول مالبثوا ان اعتنقوا الاسلام ودخلوا ضمن نظامه ، وكان ذلك أول مرة منذ عهد الرسول يخضع فيها قلب العالم الاسلامي لسيطرة غير المسلمين ،وتحولت حضارة الشرق الاوسط الى مسالك جديدة ٠

ثم سيطر الاتراك حربيا وسياسيا من مصر الى الهند ووسط آسيا ، وزود الاتراك الاسلام بحيوية جديدة مكنته من صد الصليبيين ، واصبحت اللغة التركية ثالث لغة هامة بين المسلمين والاولى من الناحية السياسية ، وتركزت قوة العالم الاسلامي في أربعة مراكز : أولها سلطة مصر المملوكية حيث ظلت مصر معقلا للغة العربية ، وتمثل العصر الفضي في تاريخ الثقافة العربية عصر الجمع والتعليق ، قلعة للثقافة القديمة صامدة ضد الموجة الجديدة المتمثلة في الاتراك والمغول في الشمال ٠

وكانت ايران هي المركز الثاني ، تحكمها الخانات خلفاء المغول ، ثم أسرة الصفويين الحاكمة ذات الطابع الديني المستمد من المذهب الشيعي ، الذي ظل حتى يومنا مذهب الدولة الفارسية ، وتنازع سلاطنة تركيا وشاهات الصفويين السيطرة على الشرق الاوسط ، وهزم الاتراك الصفويين ، ثم سيطروا على مصر ، وأصبح في الشرق الاوسط دولتان فقط هما تركيا وايران وظل الوضع كذلك حتى القرن الحالي ٠

وكانت الهند هي المركز الرابع ، الذي مالبث

١٢٧
صورت طبيبه وشكل لوبت وصورت عليله بونلردر

صورت طبيب وشكل آلت وصورت عليل بونلردر

أن تقوض وحلت محله امبراطورية قوية أسسها بابور من أحفاد تيمور لنك ، الذي فتح الهند ، وأقام ماسمي امبراطورية المغول ، لكن قوة الامبراطوريات الاربع الاسلامية الكبرى كانت خادعة ، فقد كانت تحجب تغيرا أساسيا في علاقة الاسلام بالمسيحية في القرن السادس عشر الميلادي ، اذ بدأت أوربا حركة الكشف والغزو ، التي ادخلت العالم تقريبا في النهاية داخل فلك القوة الحضارية الاوربية ، وبدأ التوسع الاوربي من الطرفين ٠٠ الشعوب البحرية الغربية عن طريق البحر ، وروسيا شرقا عن طريق البر ، يتقدم كل منهما داخل العالم الاسلامي ، من الشمال ومن الجنوب ، الامر الذي أدى الى وقوع الدول الاسلامية في حوض الدون والفولجا تحت حكم الروس ، فيما وقعت الدول الاسلامية في جنوب وجنوب شرق آسيا ، والشرق الاوسط تحت سيطرة الغرب ٠

وللمرة الثانية ـ وكانت الاولى عند غزو المغول ـ خضع قلب العالم الاسلامي لحكم غير المسلمين وكانت الصدمة الناتجة عن ذلك ، وردود فعل المسلمين واستجاباتهم لهذا التحدي ، والتحول التاريخي الذي طرأ على المجتمع الاسلامي ، هذه كلها هي التي حددت التيار الرئيسي في التاريخ الاسلامي في العصر الحديث ٠

الفصل الاول :

تحت عنوان (الايمان والمؤمنون) يرى برنارد لويس أن لكلمة الاسلام عدة معان مختلفة فالمسلمون يرون أن الدين الحنيف الحق ، الذي نزل به الى البشر مجموعة من الانبياء بكتاب أنزل اليهم ، وأن محمدا هو خاتم الانبياء ، وأن القرآن هو كتاب الله يكمل وينسخ ماقبله وبهذا المعنى يعتبر كل الرسل والانبياء السابقين مسلمين ، وهناك معنى أكثر شيوعا يقصر استعمال الاسلام على المرحلة الاخيرة من سلسلة التنزيلات ـ أي على محمد والقرآن ـ أي الدين الذي بشر به محمد ونزل به القرآن ، كما أن كلمة الاسلام يستعملها المؤرخون ـ غير المسلمين ـ بخاصة للدلالة على كل تلك الحضارة الضخمة التي تمت وتطورت في ظل الامبراطوريات الاسلامية ٠

أساس الاسلام وحدانية الله ، خالق كل شيء ، نعبده لاشريك له ، نخضع لمشيئة ، نطيع رسله ، ومن يعصي يلقى جزاءه في الآخرة يوم الحساب ٠

والقرآن والحديث هما المصدر الذي يهتدي به المسلمون ، وكذلك السوابق التي استنها الرسول الكريم وخلفاؤه الراشدون ، ذلك أساس الشريعة الاسلامية ، التي سار عليها وفسرها الفقهاء واهتدوا بها ، هذا التراث الفكري الضخم هو أهم المنجزات الاسلامية وهو أكمل وأغنى تعبير عن طبيعة وعبقرية الحضارة الاسلامية ، والشريعة الاسلامية تغطي كل نواحي الحياة البشرية للمسلمين ، أفراد أو جماعات ، في الزواج والميراث

اصطرلاب كروي

في المعاملات والملكية والاحوال الشخصية ٠٠ الى غير ذلك ٠

يقوم الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ٠

ويشرح الكاتب صلاة الجماعة وأهمية الوضوء ، ودور المسجد في حياة المسلمين ، ويبين أن ليس في الاسلام سلطة كسلطة الكنيسة في المسيحية ، تفرض حكمها ، ليس ثمة وسيط في الاسلام بين العبد وربه .

واحد ، على رأسه الخليفة ، والكل فيه سواسية ،

ويقسم الكاتب المجتمع الاسلامي الى خاصة تتمتع بالمركز والسلطة والتعليم ، وعامة لايتوفر لها ذلك ، الا أن هناك طرقا أخرى لتقسيم المجتمع الى تقسيمات فرعية هي : الاحرار والموالي وأهل

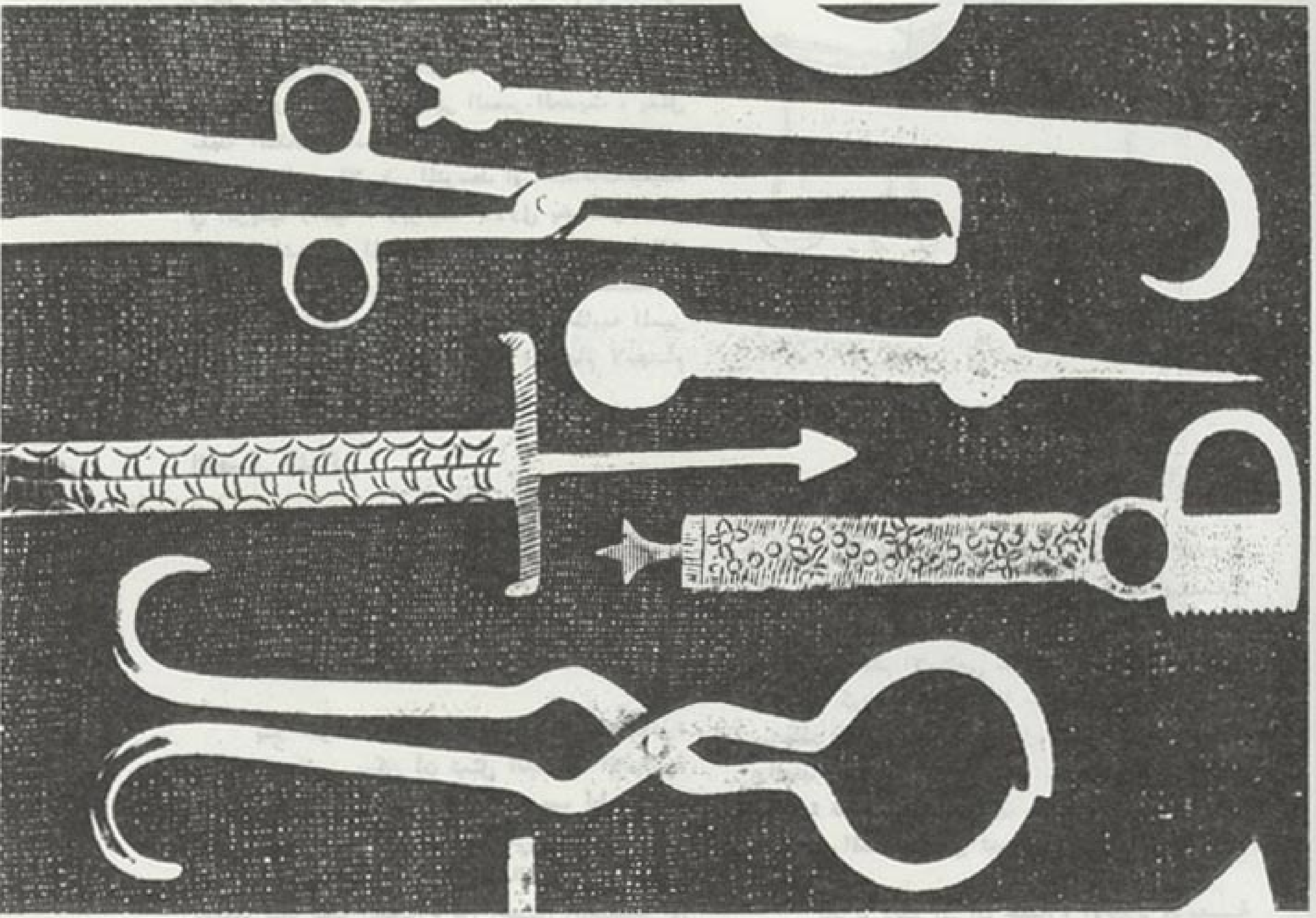

بعض آلات الجراحة

الدولة في الاسلام ، كما يراها ثقاة المسلمين دولة دينية ، في ظل شريعة الله ، مهمة خليفتها الاولى الحفاظ على الاسلام ونشره ، والشريعة لاتقتصر على العبادات وحدها ، لكنها تمتد لتنظم حياة المسلمين جميعا ، اذ ليس في الاسلام سلطة زمنية أو شريعة دينية منفصلة ، فالدين والدولة كل

الذمة والعبيد ، ويناقش الكاتب وضع كل فئة منها .

ثم يتناول ظهور أهل العلم باتساع رقعة البلاد الاسلامية ، وأهميتهم وتميزهم بالعلم والادب وظهور بعض الفئات العسكرية كالاتراك والمماليك

واستقلال العلماء عن الدولة الى أن اتى العثمانيون فكونوا منهم هيئة من الجهاز الحاكم ٠

ويناقش ملكية الارض ، وكيف كانت تمنح اقطاعيات لكبار الفاتحين ، وكيفية جمع الزكاة ، وجباية الضرائب ٠ ووضع التجار ورجال الصناعة والمهن الاخرى في المدن ٠ سمي الاسلام بالحضارة الوسيطة ، وذلك تعبير دقيق ، اذ يقع العصر الذهبي للاسلام بين الحضارات الرائدة القديمة ، من شرق أوسطية وهيلية ، وبين فجر العصر الحديث ، يمثل نقطة انتقال أساسية من أحدهما للآخر ، فالاسلام يمتد من البحر الابيض المتوسط الى الثقافات البعيدة في أفريقيا وآسيا ، ويرتبط بالاولى بخيوط من التراث المشترك والمنجزات ، والى الاخيرة بمحاولات أجيال من الجنود والتجار والعمال والفنانين والعلماء والمعلمين ، وقد طبع الاسلام طابعه المميز على أولئك جميعا ، مهيئا البيئة والالهام لاسهام أصيل في فنون وعلوم البشر ٠

الفصل الثاني :

ابداع الانسان في الفن والعمارة الاسلامية :

بقلم رتشارد اتنجهاوزن

الرئيس الاستشاري ، للقسم الاسلامي بمتحف مترو بوليتان ـ نيويورك ـ

يثير المؤلف سؤالا عما اذا كان ثمة ظاهرة كالفن الاسلامي يمكن أن تمثل الحضارة الاسلامية بكليتها وتبرز خصائصها ؟ ذلك صعب لطول المدة التي تغطيها وامتداد الاراضي التي تشملها وتنوع الاجناس التي دخلت الدين الاسلامي والبلاد التي تمثلت فيها تلك الحضارة من أقصى آسيا الى الاندلس ٠ ومع ذلك فهناك عوامل ساعدت على خلق فن نبيل ، ذي طابع عالمي موحد ، نرى ذلك في الوان المساجد والقصور ، في النافورات في الحدائق والقصور ، وفي صناعة السجاد المختلف الانواع والاغراض ٠ عامل آخر موحد هو نقل تصميم ونموذج من وسيلة الى أخرى مباشرة ٠٠ زجاجا أو فخارا ٠٠ ويرجع الكاتب عوامل وحدة الفن الى قوة الاسلام بالطبع كأساس للحضارة كلها وأسلوب الحياة التي أجمع العالم على قبولها ،

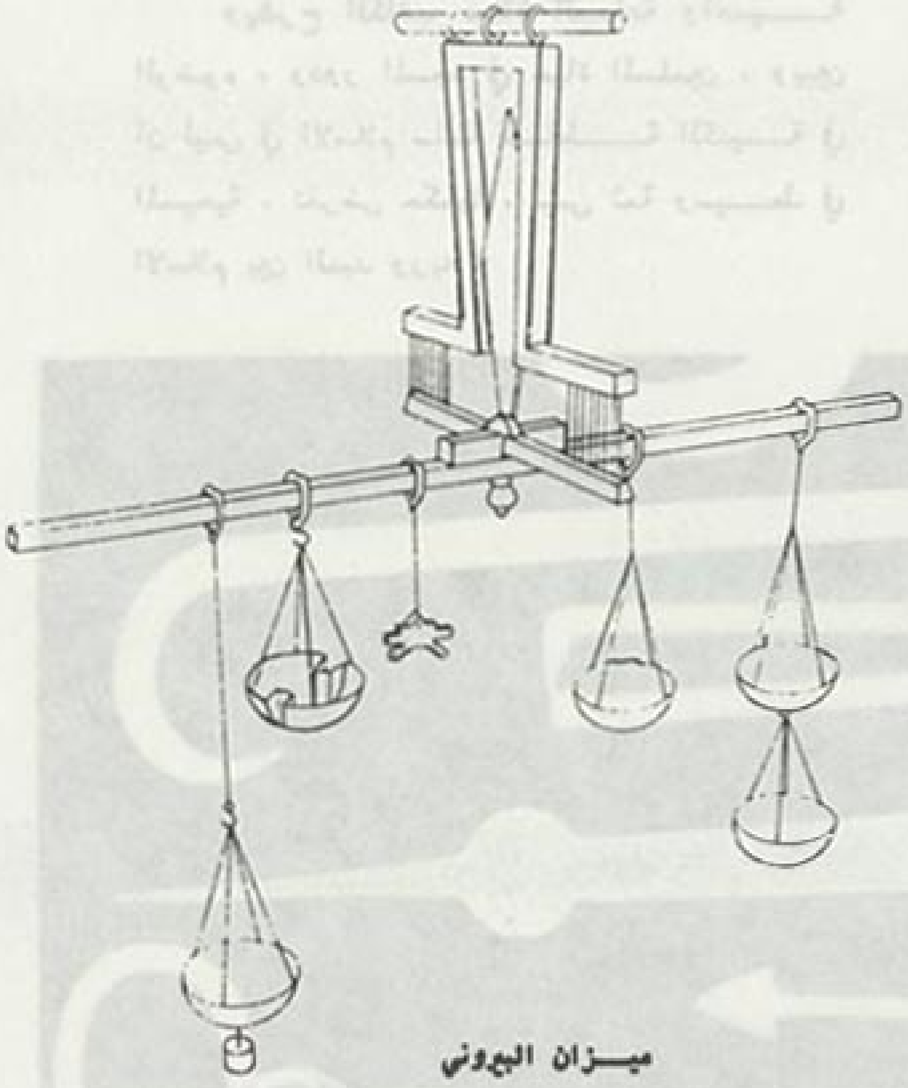

ميزان البيروني

والوعي بانتماء الجميع الى أمة ، والهدف المشترك أثر ذلك كله على العمارة الدينية ، وعلى استعمال اللغة العربية وكتابتها وزخرفتها ، عامل آخر هو أن قلب العالم الاسلامي ـ بخلاف الجزيرة العربية كان قد كون لقرون كيانا سياسيا وثقافيا كبيرا ، ـ عالم البحر الابيض ـ تأثر بالبلاد البعيدة كايران والهند ، أثر ذلك على الفن بطريقة محدودة وغير مباشرة غالبا ، الا أنه كون جوا سيكولوجيا مشتركا وأثار مواقف أدت الى تعميم الاتجاه الفني ٠

يجرنا ذلك الى أن حضارة الاسلام سريعة الحركة ، قبائل دائمة التنقل ، هجرة السلاجقة الجماعية في القرن الخامس الهجري ، أثر ذلك على الاناضول التي دخلت دين الله ، وأوجدت الاساس التاريخي للامبراطورية العثمانية ، كذلك كان الحال في شمال أفريقيا من موحدين ومرابطين وبربر ، ولما كان حكام الاقاليم من الاجانب ، فقد تلاحم الفن المحلي مع المستورد وهاجر الوف الفنانين والمهندسين والصناع المهرة من بلد الى آخر ، وبخاصة من الشرق الى اسبانيا ، التي تأثرت بالعمارة

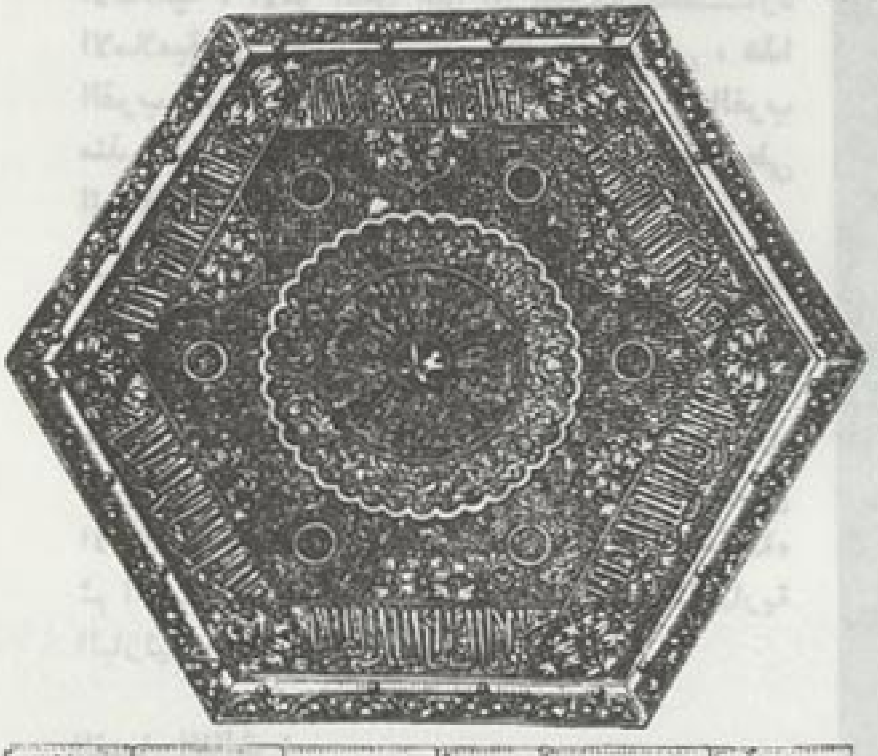

السورية ، كما يظهر ذلك في مسجد قرطبة الكبير ، الذي تأثر بالفن المغربي المتأثر بدوره بالعمارة السورية وكذلك ساعدت التجارة ٠

الخط العربي :

ربما كان الخط العربي هو أكثر أشكال الفنون العربية انتشارا وأهمها طابعا على امتداد بلاد العالم الاسلامي ٠ بدأ بسيطا ، ثم تطورت زخرفته لكن بطريقة مجردة ، وأعطى القرآن الكتابة أهمية عظمى ، واستعمل الخط العربي على المباني الاسلامية والاثار القديمة ، وجدران المساجد لكتابة الآيات القرآنية ٠

ويبين الكاتب معنى كلمة مسجد وجامع ، وتطور طابع كل منهما ، وطريقة البناء ووجهة المساجد الى الكعبة ، واتساع ساحاتها ، ويصف المحراب والمنبر ، وتطور زخرفتها والاختلاف في ذلك من بلد الى آخر ، ثم اشتمال بعض المساجد على مدارس وحمامات ونافورات ، وانتشار

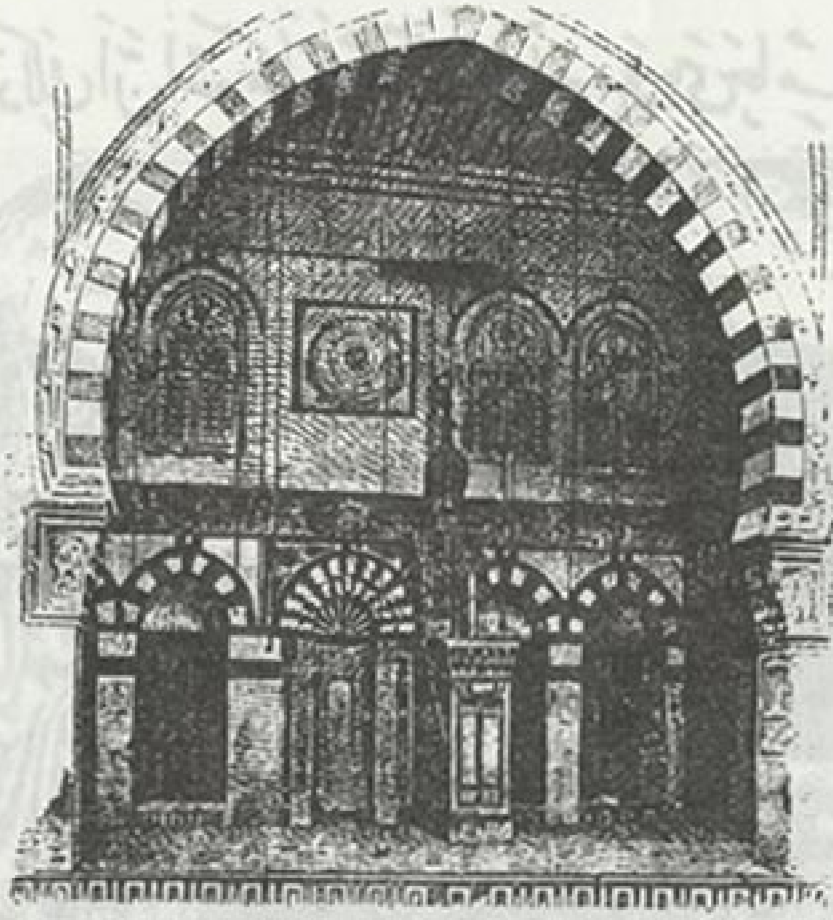

المزارات في بعض البلاد الاسلامية ، رغم مخالفة ذلك للدين ويتطرق الى الالوان التي تشيع في طبيعة البلاد الاسلامية ، حيث الصحراء القاحلة هي العنصر الغالب، والشمس الحارقة ، والرتابة متناهية ، والريح عاصف ، والليل قارس البرودة ومحاولة الانسان تكييف حياته مع تلك البيئة بتجميلها وزخرفتها ، يظهر ذلك داخل القصور والمباني وفي المنسوجات بالوانها الزاهية لتعوض عن هذا الملل كذلك في الفسيفساء والرخام والزجاج الملون والاواني الزاهية والتطعيم بالمعادن من فضة ونحاس وبرونز ، واستعمال الاشكال الهندسية ولعبت الحدائق دورا هاما في اسباغ جو جميل منعش داخل القصور والمباني ، حيث كان الظل الرطب مطلوبا محببا ، كذلك كانت المنسوجات والفرش الداخلية وأرائك ووسائد بهيجة الالوان سهلة الحمل .

يبرز الكاتب تفاعل الثقافات لعصور ماقبل الاسلام ، وتاثيرها على الفن والعمارة الاسلاميين ، كتاثير الفنون البيزنطية والفارسية على النماذج الاسلامية ، الامر الذي ادى الى تقارب الحضارة الاسلامية من التيار الرئيسي للتاريخ الغربي ، هذا القرب الذي ادى الى تقدير الفن الاسلامي في الغرب منذ اقدم الهدايا الى كاتدرائيات العصور الوسطى الى اقامة متاحف الفن الاسلامي .

ثم يتساءل الكاتب عما اذا كان في تاريخ الاسلام ، مايشبه عصر النهضة في أوربا ، ويرى أن الاجابة في الاعم يجب أن تكون بالنفي ، وأن ايران هي الاستثناء الوحيد ، حيث أدى الوعي القومي الى العودة الى المثل الفنية التي كانت سائدة قبل الاسلام ، وبخاصة في ملحمة الفردوس «الشاهنامة» ثم أعقب ذلك استعمال النماذج والموتيفات المعمارية البارثية والساسانية في المساجد .

الفصل الثالث :

نمو وثقافة المدينة الاسلامية :
بقلم : اوليج جرابر
أستاذ الفنون الجميلة بجامعة هارفارد

ثلاث متغيرات يجب أن تظل في أذهاننا ونحن نقيم ونصف المدينة الاسلامية تلك هي : حجم وأهمية

المدينة ووقتها الذي يجب أن يؤخذ في الاعتبار ، ومنطقتها الجغرافية ، ثم يبين الكاتب نشأة المدن وتقسيماتها وأهميتها ، وأهمية قرب المياه من مواقعها ، والمجتمعات التي تسكن هذه المدن ، وأحيائها ومنازلها وأهلها ومجتمعها الديني ، ومنشئات الدولة داخلها من دار الامارة الى القصر أو القلعة والديوان واستحكاماتها وأسوارها وبواباتها .

وتطور الفن في المدن تطورا عظيما ، في كل ماتناوله الانسان في نشاطه اليومي وحياته من أوان خزفية ومعدنية وفيما استعمله في البناء وزخرفته من فن جميل وابداع جذاب .

الفصل الرابع :

كتبه فرتيز ماير

استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة بازل

وهو يفرده للصوفية والمتصوفين والطرق التي انتشرت في بعض البلاد ، ويتحدث عن المعنى الكلاسيكي للتصوف ، وكتبه ونصوصه ودرجاته ، وعن التصوف والدولة والادب وتأثير كل منهما على الأخر ، ويبين أن هذا التيار قديم تمتد جذوره الى ماقبل الاسلام .

الفصل الخامس :

صياغ الكلام

تراث الادب الاسلامي

بقلم : رتشارد بلات أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة باريس

يتناول الكاتب هنا المنظوم والمنثور والشاعر والخطيب ، ويشبه الشعراء بصياغ الجواهر ، يختارون ألفاظهم ويصفونها لتصبح شعرا يأخذ بألبابنا ، وقد عرف العرب الشعراء والخطباء والكهان منذ قديم الازل ، ومنذ أن كتب العرب النثر فانهم أعطوا أهمية عظمى لعلوم الدين ، وأنتجوا أعمالا لابد من وضعها في الاعتبار ، ثم ظهرت كتب للتعليم والترفيه مثل كتاب (كليلة ودمنة) التي ترجمها ابن المقفع عن الفارسية ، ثم ظهرت كتابات ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب .

وكان للقرآن منزلة تعلو على أي نثر أدبي فهو تنزيل من الحكيم ، لايجرؤ أحد على محاولة محاكاته ولايستطيع ، ان شكلا أو مضمونا ، لكن تأثيره على الكتاب كان عظيما ، استشهدوا بآياته ، واستمدوا منه قواعد الاخلاق ، ثم ظهر التفسير وعلوم اللغة وامتزجت الثقافات عربية وفارسية وبيزنطية ، وتفاعلت وتأثر بعضها بالبعض وأثر فيه ، وترجمت الفلسفات والاعمال الادبية الى العربية ، فتوفرت مادة ضخمة من العلوم ، كتبت كلها بلغة رائعة ولفظ رشيق في مجتمع يتبارى في اللغة ، وأصبحت الثقافة العامة مطلب الوزراء والعلماء والقضاة والمعلمين وكبار الموظفين ، وكان أن أصبح الادب

هو أدب الثقافة العامة ، وظهرت المختارات مشتملة على مقتبسات منوعة من نثر وخطب وأحاديث ومقتطفات من الاعمال الاغريقية والفارسية المترجمة الى العربية .

ونشرت الكتب المختلفة ككتاب المعارف ، وكتاب البلدان ومروج الذهب .. الخ ويتناول الكاتب مكانة الشعر عند العرب ، حيث يقف على قمة الابداع الادبي ، ويصف القصيدة العربية ، وتطورها ، ويذكر المعلقات بأنها أعظم مانظم من شعر قبل الاسلام .

ويذكر موقف الرسول من الشعراء .. من حسان بن ثابت ، وحتى كعب بن زهير رغم عدم اسلامه ، الا انه يذكر رغم ذلك أن الدين الاسلامي عند ظهوره لم يكن حقا منبع الهام للشعراء ، لكنه في العصور الوسطى ألهم بعض شعراء فارس وتركيا ، لقد كان الشعر بدويا في أساسه ، أو بدوي الطابع ، لكن المدن فيما بعد انتجت شعراء ملهمين من أمثال الاخطل النصراني ، وجرير والفرزدق ، الذين برزوا في العصر الاموي وكانت الفتوحات الاسلامية ، والصراعات التي برزت

والخلافات التي قامت بين المسلمين من سنة وشيعة وخوارج ، مناسبات لم تفت الشعراء ٠

وبعد ذلك ظهرت قصائد الغزل والخمريات في مدن الشام والعراق ، وازدهر الشعر في قصور بني أمية وبني العباس ، وبرز بشار بن برد ، وأبو نواس ، ثم بعد ذلك أبو تمام والبحتري ٠ وكان المتنبي هو المثل البارز للكلاسيكية الحديثة في قصائده في سيف الدولة ، وتبرز (رسالة الغفران) لابي العلاء المعري منفردة بين شعره الفلسفي ، وهكذا نرى شعراء من أصل غير عربي يدخلون الى ميدان الشعر ويجيدون فيه ويبدعون مثلما أبدع شعراء العرب ٠

وفي النثر الفني تقف كتب الجاحظ (البخلاء) وكتاب (الحيوان) ، وكتاب (البيان) شامخة ، ترتفع الى عالم التحليل النفسي ٠

وظهرت أعمال شعبية أخرى قصد بها الترويح والتسلية ، فيها السخرية والهزل ، وفي الاندلس احتلت الموشحات منزلة عظيمة وأصبحت طابع الحياة الادبية والفنية وظهرت الرسائل والمقامات ، وتفنن الجميع في اظهار مواهبهم ومهاراتهم ٠

وفي العصور الحديثة أثر الادب الغربي على العربي ، وظهرت أشكال جديدة من الادب العربي تنحو نحو تقليد الغرب منمسرحيات وقصص قصيرة ورواية ، واتجه البعض الى الشعر الحر ، وتحرر النثر من المقامة والمحسنات البديعة ، وعالج موضوعات تتعلق بالحياة اليومية ومشكلات العصر ٠

الفصل السادس :

أبعاد الصوت

بقلم : شيلوح ـ الاستاذ المشارك بالجامعة العبرية بالقدس

يتناول الكاتب الموسيقى الاسلامية ،وفلسفتها بين النظرية والتطبيق ، والموسيقى الشعبية ، وموسيقى الفن ، والتكنيك الموسيقي والتعبير ، وموقف الدين من الموسيقى ، ويرى أن الموسيقى الاسلامية ثمرة لقاء ثقافات مختلفة ، حدثت على مستوى موسيقى (الفن) ، وبقيت الاساليب الموسيقية الاقليمية والعرفية دون تغير ،وما زالت حتى يومنا هذا ، في ظل موسيقى الفن ، محتفظة بخواصها المميزة ٠

وانتشرت الموسيقى الجديدة بسرعة عبر مساحات شاسعة من القوقاز وفارس الى الاطلسي وعرفت عالميا وأصبحت موضع تقدير عظيم ،وكوفيء الموسيقيون بمبالغ خرافية ، فقد أصبحت جزءا من الثقافة ولعبت دورا هاما في الحياة الاجتماعية ، وكانت اللغة العربية والشعر العربي هما العامل الفعال الذي أسبغ على الموسيقى الجديدة مبرر وجودها ، لذلك لايستغرب اذا أصبحت الموسيقى الصوتية هي العنصر المفضل ، اذ نجد الاتصال وثيقا بين النص والموسيقى التي تستعمل لابرازه ٠

وتصدر الموسيقى الاسلامية عن اربعمصادر متميزة : الشرق الاوسط الهندي ، والايراني ، والمغولي ، ثم التركي ٠

وفيما تنتشر موسيقى الفن في المدن والمجتمعات المتحضرة ، نجد أن الموسيقى الشعبية ترتبط بالجماعات الاقليمية وهي بأشكالها المتعددة من ملاحم ورقصات ومواكب وتمثيليات عاطفية تصبح الهاما عظيما ومرجعا هاما للموسيقيين ٠

ويعرض الكاتب لقراءة القرآن وترتيله وتجويده وللاذان وما في ذلك من عناصر موسيقية ، وكذلك للموسيقى العسكرية حفزا لهمم الجنود ٠

الفصل السابع :

العمل العلمي

بقلم الاستاذ صبرا : أستاذ تاريخ العلوم العربية بجامعة هارفارد ٠

يتناول هذا الفصل ماأسهم به المسلمون في تطور العلوم ، وقد كان لاهتمام المأمون البالغ بنشر العلوم وترجمتها اكبر الاثر في جعل مكتبة

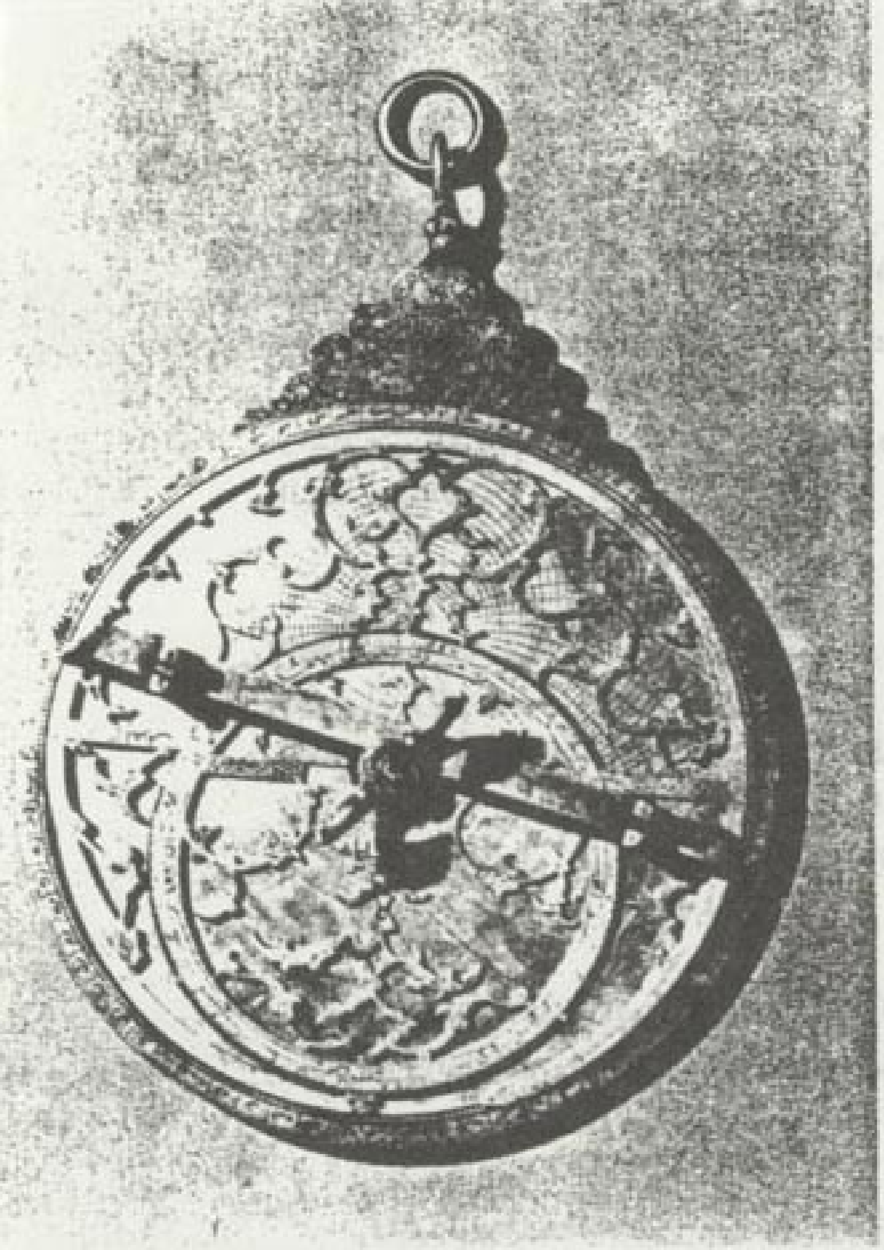

أشكال الاصطرلاب من عدة أجزاء في العالم الاسلامي

بغداد ، مركزا للاشعاع العلمي ، مما ترجم فيها من فلسفة وعلوم اليونان وفارس والهند ، فترجمت أعمال أبو قراط وأرسطو واقليدس وبطليموس ، وأصبحت بغداد وريثة لمدرسة الاسكندرية العلمية واستدعي العلماء والاطباء من فارس ، وأنشئت البيمار ستانات .

وتنوعت المصادر الجغرافية ، وقسم العرب العالم المسكون الى سبعة أقاليم تتوازى مع خط الاستواء والى خطوط الطول . وكان كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للادريسي أبرز مثال لهذا الاتجاه ، اذ عهد اليه ملك صقلية باعداد مسح جغرافي للعالم مع خرائط مختلفة للاقاليم المناخية ، فأعد خريطة بارزة .

وأصبحت اللغة العربية تحمل من العلم والمعرفة والفلسفة ماكانت تحمله كل اللغات من اغريقية وسريانية وفارسية وسنسكريتية .

وثار الجدل والنقاش حارا بين روادالفلسفة الاغريقية الجديدة ، وبين علماء الكلام الذين برز من بينهم المفكر الاسلامي العظيم الغزالي في القرن السادس الهجري ، والذي أعلن أن دراسة علوم الدين يجب أن يسبقها أساس كاف من المنطق الاغريقي كأداة لارساء قواعد صحيحة للتعريف وللاستدلال ، وبذلك فتح الباب لدخول الفلسفة الارسطورية الاخرى فيالدراسات الدينية ، مما حدا بابن خلدون الى ملاحظة أنه نتيجة لكتابات الغزالي وفخر الدين الرازي ٦٠٦ هـ أصبح من الصعب في زمنه التمييز بين الدراساتالكلامية وبين الدراسات الفلسفية .

كان موقف الغزالي يتناقض تناقضا حادا مع موقف ابن تيمية ٧٢٩ هـ الذي شن حملة لاتلين على المنطق الاغريقي ، لانه على عكس الغزالي — كان يرى أن أسلوب المنطق الارسطي كله يقوم على نظرية ميتافيزيقية تهدد النظرة الاسلامية ، وكان يعتبر أنماط المجادلات الارسطية معادية للاسلوب الاسلامي في التفكير .

ولعب يعقوب الكندي ٢٥٧ هـ دورا هاما في ارساء قواعد الفلسفة الاسلامية واسباغ الصبغة العربية على العلوم القديمة من الناحية اللغوية والفكرية على السواء ، فقد فتح عقله للفلسفة والفلك والكيمياء والبصريات ، والموسيقى والطب وتجاوز الفلاسفة المسلمون كالفارابي وابن رشد الكندي في التزامهم بأهداف وطرق التفكير الاغريقي .

وفي الرياضيات سبق المسلمون الاوربيين بحوالي مائتي عام في الحساب والكسور العشرية والف الخوارزمي ملخصا للحساب ، وفي الجبر لم يعرف أن كتابا مشابها لكتابة الجبر والمقابلة قد ظهر الى حيز الوجود قبل القرن الثالث الهجري ، وطبقت الرياضة في الحياة العملية فيما سمي بعلم الحيل في العمارة والمساحة وصناعة الآلات الفلكية والبصرية والموسيقية التي يرى الفارابي أنها أسس الحضارة العملية ، وهنا تبرز أسماء البيروني والخراجي وعمر الخيام وابن الهيثمالذي وضع خطة لتنظيم فيضان النيل .

وأقيمت مراكزبحوث ملكية مختلفة فيالبلدان الاسلامية في بغداد ودمشق والقاهرة وسمارا لملاحظة خسوف القمر ، وتحديد الفصول ، ومسارات الافلاك والنجوم ، وبني أول مرصد يعمل به مجموعة من العلماء بسمرقند ، لرصد الشمس والقمر وغيرها من الاجرام السماوية .

وفي مجال الضوء والبصريات توصل ابن الهيثم الى نظرية جديدة للرؤية فاقت كل ماسبقها ، تقوم على أن الرؤية تنتج عن ضوء أو جسم يقع على البصر ، ثم ينقل الى المخ حيث تتم العملية البصرية ، كما درست خواص الضوء والاشعة وانكسارها .

كذلك قامت بالاندلس نهضة شبيهة بتلك التي قامت بالعراق ، وأنشئت مكتبة بقرطبة ، قيل أنها كانت تضاهي مكتبة بغداد ، وهناك ظهر الزركلي الفلكي وابن طفيل مؤلف « حي بن يقظان » وابن رشد الذي شرح فلسفة أرسطو وعلق عليها ، وابن حزم الذي رفض كل أنواع الاستدلال ، الذي لاينبع من القرآن الكريم أو الاحاديث النبوية .

الفصل الثامن :

جيوش النبي :

بقلم : دموند لوزويرث ـ أستاذ الدراسات العربية بجامعة مانشستر .

يتناول الكاتب في هذا الفصل جهاد المسلمين وحروبهم وكيفية تكوين جيوش المسلمين والاسلحة التي كانوا يستعملونها ، والاساليب التكتيكية التي اتبعوها في معاركهم في العصور المختلفة منذ ظهور الاسلام حتى عصرنا الحديث ، الا أن الكاتب يخلط بين فكرة ومعنى الجهاد في الاسلام والشهادة في سبيل الله ودينه ، وبين الرغبة في الحصول على الاسلاب والغنائم ، وبين المجاهد والغازي والفدائي وهو يميل الى ابراز العوامل الدنيوية وأثرها في حفز المقاتلين .

ويشرح كيف استفاد العرب من تجارب غيرهم من الفرس والبيزنطيين في الحرب وكيف نظموا الامصار للدفاع وللفتح تنطلق منها جيوش المسلمين شرقا وغربا ، ثم ازدهار هذه المراكز فيما بعد كالبصرة والكوفة والقيروان ، ويبرز خفة وسرعة حركة جيوش المسلمين عبر الصحاري ، لاتثقلها خطوط تموين طويلة .

وفي عهد عمر أعد سجل للمحاربين لتوزيع ماغنموه من الحرب ، ولصرف رواتبهم وفقا لنظام دقيق محكم قائم على أسس اسلامية منها السبق الى الاسلام وشهود بدر .

ثم يبين الكاتب أسلوب القتال في عهد الامويين ثم في عهد العباسيين حين اتسعت رقعة البلاد الاسلامية وتفككت الامبراطورية ، وقامت بعض الممالك الاقليمية ، وظهور الجيوش المحترفة وبروز الاتراك في المجال العسكري ، ثم السياسى واعتماد الجيوش على المماليك في تكوينها وظهور الشعوبية ، ثم بنيت القلاع والحصون في دمشق وحلب والقاهرة ، ثم تطورت لتقابل ظهورالاسلحة النارية ، وحصنت السواحل الشمالية لافريقيالصد هجمات المسيحيين ، وبنيت الابراج المتحركة والدبابات واستعملت ضد الصليبيين وكذلك المنجنيق ، وبرز اسم أبو الحسن الاسكندراني مخترع هذه الاختراعات الجديدة .

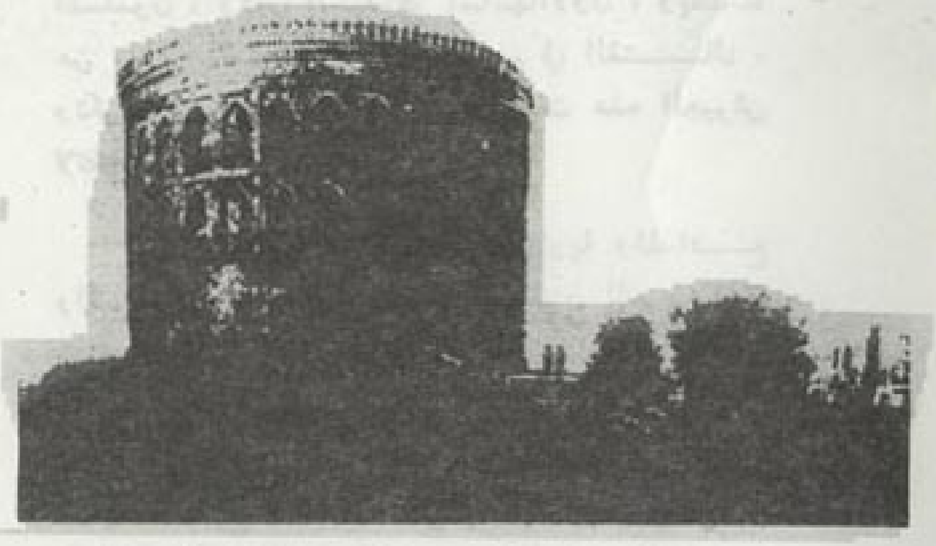

مرصد سمرقند

بعض المراصد في الهند

ويعدد الكاتب مختلف الاسلحة التي استعملها المسلمون ، وكان السيف هو أساسها الاول ، ويحدثنا عن براعة العثمانيين وشدة بأسهم في القتـــال ، وتكوين جيوشهم وتدريبها حتى بدت هذه الجيوش لاتقهر .

الا أن ظهور الاسلحة النـــارية والمدافـــع والبنادق أحدث ثورة عظيمة في شئون الحرب وقلب موازين القوى ، وأصبح بيد الغرب سلاح أمضى من السيف والرمح والسهم ، تلك الاسلحة التي قامت عليها امبراطوريات الصحاري الآسيـــوية ، وأثرت المدافع والحصار على طريقة وأسلوب حرب المماليك التي كانت تعتمد على الخيل والحـــرب المفتوحة .

وبدأ الاهتمام بالبحرية في عهد الامويـــين للسيطرة على شرق البحر الابيض ، وكذلـــك في الاندلس للسيطرة على سواحلهم الطويلة ولمحاربة المسيحيين ، لكن في القرون التالية كان الاهتمـــام بالبر أكبر ، ومع ذلك كان العثمانيون أحسن الامم التي استفادت من القوة البحرية .

الفصل التاسع :

اسبانيا الاسلامية :

بقلم : اميليوجارسيا جوميز ، عضو الاكاديمية الملكية الاسبانية بمدريد

عصر قرطبة واشبيلية الذهبي :

يطرح الكاتب سؤالا هو هل كان الاسلام خيرا على الامة الاسبانية أو العكس ؟ أي سبيل كان يمكن للتاريخ الاسلامي أن يسلكه اذا لم يدخل الاسلام اسبانيا ؟ ويرى أن دخول الاسلام الى اسبانيا كان عامل دهشة كما كان خروجه منها ، لانه لم يحدث أن انفكت أمة من الاسلام تمـــاما كما حدث في اسبانيا ، وهو لايجد جوابا لكيفية وسبب غـــزو المسلمين لاسبانيا وتوسعهم فيها ، ويلفت النظر الى أن الدولة الاموية باسبـــانيا قد عمرت ضعف شقيقتها في سوريا ويقسم حكم الامويين الذي بداه عبد الرحمن الداخل عام ١٣٨ هـ الى ثلاثة اقسام :

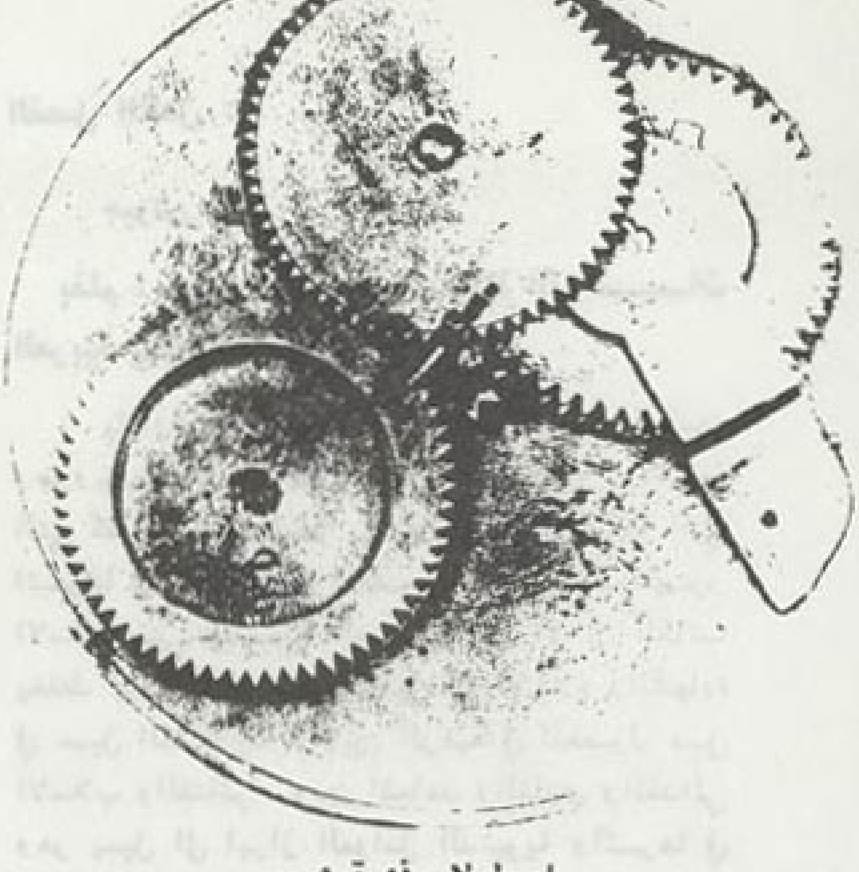

اصطرلاب ذو تروس

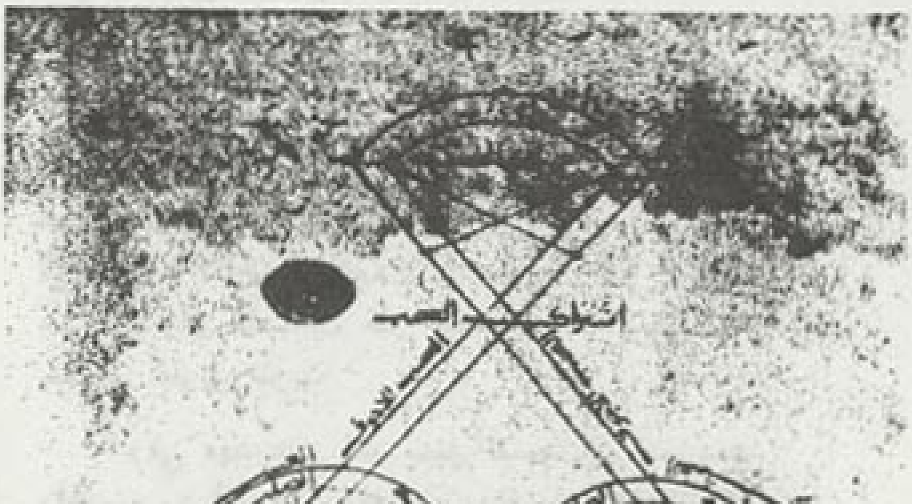

تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه

كتاب معرفة محنة الكحالين ليحيى بن ماسويه المتطبب

تشريح العين

ازدهرت الحضارة والثقافة والعمارة الاسلامية في الاندلس ، فظهرت التواشيح رمزا لافتا لتلاحم العنصرين العربي والاسباني ، وضمت مكتبة قرطبة ٤٠٠٫٠٠٠ مجلد ، وازدهر الشعر والغناء والموسيقى ، فظهر (العقد الفريد) ، و (المتن) لابن حيان المؤرخ و (رسالة التوابع والزوابع) لابن شهيد ، وتحفة ابن حزم (طوق الحمامة) وهي احدى روائع الادب الاندلسي التي تضاهي أعمال أفلاطون ، وأوفيد ودانتي وستاندال وقصيدة ابن زيدون (النونية) الشهيرة . أما ابن قزمان فانه يمثل خطوة هامة نحو مفهوم جديد في الشعر ، ويعتبر من أشعر الشعراء في العصور الوسطى في أية لغة ، كذلك برز (ابن خلدون) المفكر التونسي العظيم صاحب « المقدمة » .

أما ابن رشد أعظم فلاسفة المسلمين في الغرب فقد انتشر تلاميذه ومريدوه في المدارس المسيحية ، ومازال أثره حتى اليوم بارزا في الفلسفة الاوربية وازدهرت العلوم الدينية ، وثارت المناقشات وحميت بين الفلاسفة ، يبرز منها (تهافت التهافت) لابن رشد .

أما العمارة فتتمثل روعتها في المدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن الداخل ، ومسجد قرطبة الكبير ، والحمراء التي بناها بنو الاحمر بغرناطة ، ان روعة العمارة الاسلامية بالاندلس وزخرفتها وفنها سوف تظل الى الابد شاهدا على تلك الحضارة التي رعاها المسلمون ونموها فأنتجت هذا التراث العبقري .

وفي مجال الحكم يفصل الكاتب تاريخ الامويين ، واستخدام المرتزقة ، والفتن الداخلية وقمعها ، وانشاء قوة بحرية للتصدي للفايكنج ، وردع المسيحيين في الشمال ، ثم توالي المرابطون ، والموحدون ، ثم بنو الاحمر في غرناطة لما يقرب من القرنين ، ويرى الكاتب أن استعادة غرناطة من المسلمين يوازن سقوط القسطنطينية في يد المسلمين وبذلك ودعت اسبانيا عصرها الوسيط الزاهر ، وأنها باكتشاف أمريكا في نفس العام ، أصبحت على استعداد لحكم امبراطورية شاسعة تمتد عبر قارتين .

الفصل العاشر :

بلاد الاسد والشمس :

بقلم : روجر سافوري ـ أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة تورنتو ـ

يتحدث الكاتب عن نشأة ايران واختلافها عن البلاد المجاورة لغة وعرقا ، وأنها أكبر مجتمع شيعي في العالم ، مما أثر في مجرى تاريخها ، ويرى الكاتب أن فتح ايران لم يكن بالنسبة للفرس تحريرا دينيا ، بل هزيمة وفتحا على أيدي أعداء ، لان الاسلام نسخ الزرادشتية وحل محلها ، كذلك حلت اللغة العربية محل الفارسية لعدة قرون في الادارة والثقافة حيث ظلت لغة الفقهاء والفلاسفة والطب والفلك والرياضيات والشعر ، وحين عادت اللغة الفارسية في القرن الثالث الهجري عادت بحروف عربية ، وقد حافظ الفرس على تقاليدهم في الفنون والصناعات رغم مناقب الحكم الاجنبي من عرب وأتراك ومغول ، واستعان أولئك الغزاة بالمهندسين والعمال والفنيين الفرس ، كما قامت الدولة العباسية على ادارة وبيروقراطية فارسية .

وقد هز الغزو المغولي لفارس ، وسقوط بغداد واعدام خليفة المسلمين والغاء الخلافة في العالم الاسلامي حتى الاعماق ، ثم قامت دولة الصفويين ، شيعية المذهب ، لكن معارك تيمورلنك خلقت فراغا في ايران أدى في النهاية الى قيام مملكة الصفويين الجديدة في أذربيجان عام ٩٠٧ هـ ، ثم امتد نفوذها الى ايران والعراق . وحكمت ايران حكما وطنيا لاول مرة منذ الفتح العربي ، وقام صراع مرير بين الصفويين والعثمانيين ، ويمثل عصر الشاه عباس قمة ازدهار الفنون ، فاللوحات وزخرفة المخطوطات رائعة ، وصناعة السجاد والمنسوجات والحفر على المعادن لاتضاهى . أما الروائع المعمارية في أصفهان فلا يبزها شيء ، بعد حكم الشاه عباس بدأ انحدار الصفويين وتفشت الفوضى الادارية والمالية ، ونشبت حروب داخلية الى أن قام انقلاب رضا خان عام ١٣٣٩ هـ

ويتناول الكاتب اسهام ايران في علوم الدين والفلسفة ، وكيف أن تكوين ايران النفسي أقرب مايكون الى مذهب الشيعة ، وكيف أنهم ادخلوا مفاهيم جديدة ، أهمها نظرية الامامة عندهم ، والتي

تختلف في ماهيتها عن مهمة ومفهوم الامام عند أهل السنة .

أما اسهام فارس في الادب والعلم والفن فهو بالغ الاهمية ، ظهر في شعر المتصوفة الفرس كحافظ الشيرازي ، وعمر الخيام الذي تعود شهرته أكثر الى ماأنجزه في مجال الرياضيات ، وفي مجال العلوم اتجهوا اتجاها عمليا لحل مشكلات الملاحة والفلك والعمارة وحساب التقاويم وتحديد القبلة . وقبل حكم المغول تبرز أسماء الخوارزمي صاحب « اللوغاريتم » و « الجبر » وعمر الخيام والبيروني الذي صحح التقويم وحدد خطوط الطول والعرض والرازي أعظم علماء الطبيعة في العصور الوسطى التي أصبحت دائرة معارفه « الحاوي » مسرحا للجامعات الاوروبية .

أما العصر الذهبي لايران فيبرز منها الارستقراطي الطابع والاحساس متمثلا في أنواع السجاد والمنسوجات بالوانها الزاهية وتصميماتها الرائعة ، وما استعملوه من ادوات منزلية وزخارف ، كذلك فن الكتب خطوطا وتجليدا وزخرفة وشرحا كما في الخط الكوفي ، وفي رسم الملاحم والقصص ، كما اسهموا في تطور العمارة وزخرفتها وبنائها واستعمال الفسيفساء ، كما لايفوتنا أن نذكر الحدائق الفارسية ووظيفتها ، مع الماء والزهور والاشجار .

ويذكر الكاتب العلاقات التي قامت بين المغول والغرب ، وسفاراتهم التي تمت مع البابا ، لكن فكرة التحالف بينهما لم تتحقق ، وكيف كانت ايران تتبادل التجارة برا مع الغرب الى أن دار البرتغال حول رأس الرجاء الصالح عام ٨٩٢ هـ ، واثر ذلك على ايران ، ويتناول في النهاية ايران في العصر الحديث وظهورها على مسرح الصراع العالمي ، ثم ظهور البترول بها ، وما يمثله ذلك في العالم الحديث من قوة ومال .

الفصل الحادي عشر :

الامبراطورية العثمانية :

بقلم ـ نورمان اتزكووتز ـ استاذ دراسات الاوسط بجامعة برلستون

يتتبع الكاتب هنا التاريخ التركي منذ بدايته في أواسط آسيا عندما كانوا وثنيين في وادي أورطان ، ثم أسلموا في أعداد كبيرة في القرن العاشر الميلادي على يد الساسانيين ، ثم تدميرهم للسيطرة الساسانية في نهاية القرن بقيادة أحفاد سلجوك ، حيث سيطروا على هضبة ايران ثم أصفهان واندفعوا الى الهلال الخصيب حيث استولى طغرل على الخلافة في بغداد عام ٤٤٩ هـ ويتابع رحلتهم من الوثنية حتى مراكز الحضارة الاسلامية حيث اعتنقوا المذهب السني ، ومواجهتهم مع الفاطميين الشيعة ، ثم يتناول صراعهم في نشر الدين الاسلامي في شرق آسيا وشمالها وهزيمتهم للبيزنطيين واستيلائهم على الاناضول ، ويبرز الصراعات الداخلية التي قامت بينهم الا أن استقرارهم هزه حادثان : وصول المغول الى الشرق الاوسط واستيلائم على سمرقند وبخارى ٦١٧ / ٦١٨ هـ الامر الذي غير وجه التاريخ وأصبح السلاجقة أتباعا للمغول ، والثاني عودة امبراطور بيزنطة الى القسطنطينية عام ١٢٦١ ، ثم طرد السلاجقة عام ٦٧٥ هـ من عاصمتهم قونية .

ثم ظهر العثمانيون كمجاهدين لنشر الاسلام وتوسيع رقعته ، وهزيمتهم للبيزنطيين ، واجتيازهم الدردنيل وغزو بلغاريا والعرب ، وانتصار بايزيد في جيش الصليبيين ، وحصار القسطنطينية ويشرح الكاتب تنظيم بايزيد لقواعد حكمه وادخاله التقاليد الاسلامية في النظام العثماني وتنظيم جيشه ، ثم سقوط القسطنطينية يوم ٢٩ من مايو عام ١٤٥٣ في يد محمد الفاتح ، وامتدت سيطرة العثمانيين جنوبا على الشام ومصر ومكة والمدينة ، وشرقا الى بلغراد ورودس ، حتى أصبح حكم سليمان هو العصر الذهبي للامبراطورية ، كذلك وصلت فتوحاتهم الى أقصى غرب الشمال الافريقي .

ويبين الكاتب تكوين الدولة العثمانية ، وامتيازات العسكريين فيها ، واقطاعياتهم ، والتقسيمات الادارية ، وجباية الضرائب ، وقيام الدولة على أساس الشريعة الاسلامية ، ثم يبين اعتماد الامبراطورية على الغلمان ، وتدريبهم على الفنون الحربية وتعليمهم ، ووصولهم الى أرفع المناصب لولائهم وطاعتهم التامة .

بموت سليمان انتهى العصر الذهبي ، وكان الادب زاهرا في الشعر والنثر واتبع الاسلوب الفارسي في الشعر والكتابة بالحروف العربية ·

واتجه العثمانيون بأنظارهم للسيطرة على الشمال ، فوصلوا بجيوشهم الى وسط أوروبا حيث حاصروا فيينا ، وتوغلوا في أعماق بولندا ، ثم بدأ التراجع بعد ذلك والاستسلام للحلول الوسطى وبدأت الامبراطورية تفقد سيطرتها شيئا فشيئا على أراضيها في أوروبا في الشمال والغرب والشرق الى أن فقدت كل شيء في الحرب العالمية الاولى ، وهبت على تركيا روح العصر الحديث ، في أعقاب ذلك ، ضاعت الامبراطورية المترامية الاطراف ، وسقطت الخلافة ، وزحف الغرب على ممتلكاتهاحيث استولى الانجليز على البعض والفرنسيون على البعض الآخر وروسيا على الجزء الشرقي الاسيوي بينما استقلت عنها البلاد الاوروبية المجاورة ·

الفصل الثاني عشر :

الهند الاسلامية :

بقلم : س · رزقي

بدأ الفتح الاسلامي للهند عام ٩٢ هـ بحملة ضد السند استمرت عدة قرون ، وكانت أول أسرة حاكمة اسلامية تحكم الهند دائما هي الغزنوية ، وشملت فيما بعد البنجاب والسند وخراسان وايران تحت حكم محمود الذي غزاها سبع عشرة مرة ونظم ادارتها على أسس فارسية واتخذ الفارسية لغة للبلاط ، ورعى الفقهاء والشعراء وقامت امبراطوريته على الجهاد ·

وأعقب الغزنويين الغوريون ، وبحلول عام ٥٩٩ هـ كان غوري يحكم معظم البنغال ، ويعدد الكاتب السلطنات والحكام المختلفين والحكام لمناطق الهند التي خضعت للمسلمين ، ثم قامت الدولة المغولية نتيجة للحرب الاهلية الافغانية ،على يد زهر الدين محمود بابور ، ثم استولى ابنه هما يومه على دلهي ثانية عام ٩٦٢ هـ لكن ابنه الاكبر هو المؤسس الحقيقي لهذه الامبراطورية ، وبموت الاب توالى الابناء على الحكم وتنازعوا عليه وتوالت الحروب والضم والفصل ، الى أن محا البريطانيون

آخر آثارهم عام ١٨٥٧ م ثم يصف الكاتب حياة قصور سلاطين دلهي ، والتقاليد التي أرساها أكبر وهمايون في البلاط ، والطبقات الاجتماعية في البلاد ، وميزات طبقات معينة ، وقد رعى سلاطين المغول الشعراء والادباء والفنانين ، ويتناول الكاتب روعة العمارة الاسلامية في الهند ، وزخارفها وزينتها ، والمساجد العظيمة التي أقيمت وقبابها الشامخة ، وقلعة عليكرة ، وأخيرا تاج محل ، التحفة المعمارية الخالدة ، واحدى غرائب الدنيا بحديقتها وقبابها ومناراتها ، وتطور الفن الزخرفي على النمط الفارسي بسماته وخصائصه والوانه ونظرا لاهتمامهم بالعلوم فقد اخترع الكثير من الادوات الفلكية والهندسية والميكانيكية والاسطرلاب وفي الطب توصلوا الى وصف وبناء وظائف الجسم البشري وأعراض الامراض وتشخيصها ، لكن وصول البرتغال الى سواحل الهند أثر على لغة أهلها ، وصدم المسلمون صدمة عظيمة ودخل المسلمون في خدمة البريطانيين وتثقفوا بثقافتهم ثم دخلوا العصور الحديثة ، وانقسمت

الهند الى الهند وباكستان عقب الحرب العالمية الثانية .

الفصل الثالث عشر :

الاسلام اليوم :

بقلم : ايلي قدوري ـ أستاذ الدراسات السياسية بجامعة لندن

يقول الكاتب ان الدهر قسا على العالم الاسلامي خلال المائتي عام الاخيرة ، فقد تمزق وسيطرت بريطانيا على الهند ثم الملايو ، ومنطقة الخليج فيما بعد ، بينما سقطت جاوه وسومطرة تحت سيطرة الهولنديين ، واحتلت البرتغال واسبانيا نقطا هنا وهناك ، واستولت روسيا على كثير من بلدان المسلمين في آسيا ، وتقطعت الامبراطورية العثمانية في آسيا وأوربا والشمال الافريقي ، حتى انتهت عقب الحرب العالمية الاولى ، وقسم الشرق الاوسط بين انجلتراوفرنسا وهكذا تقطعت أوصال العالم الاسلامي ، وخضع لحكم غير المسلمين من المستعمرين الغربيين ، وأثر ذلك في نفسية المسلمين وثقتهم في أنفسهم ، وفقدوا الاحساس بتفوقهم ، لأن الهزيمة بالنسبة لهم ، لم تكن عسكرية وحسب بل كانت هزيمة لايمانهم الذي تزعزع .

وقامت ثورات وحركات مقاومة في شتى البلدان الاسلامية ، يحفز بعضها الدين ، لكنها لم تحقق نصرا يذكر ، نظرا للتطور العظيم في علوم الغرب وفي أسلحتهم ، واحتوى النظام الشيوعي كثيرا من البلاد الاسلامية التي كانت مزدهرة بالعلم والفن والادب والعمارة .

ويتناول الكاتب تأثير النظم والاساليب الغربية على نظيرتها في بلاد المسلمين ، واتجاه الكثير منها الى اقتباس النمط الاوربي وادخال الاصلاحات الحديثة والتكنولوجيا وعلوم الغرب على العقل الاسلامي ، ثم قيام ثورات هنا وهناك تعددت أهدافها واختلفت مسالكها للخلاص من سيطرة الغرب على البلاد الاسلامية .

و في خاتمة الكتاب يقول برنارد لويس أن

ثلاث غزوات تمثل معالم الطريق على التاريخ الاسلامي : أولها الفتوح العربية الاسلامية في القرنين الاول والثاني الهجريين ، والتي بدأت العصر الكلاسيكي للحضارة الاسلامية ، وامتدت من الاطلسي الى حدود الهند والصين ، وثانيها غزو شعوب الرعاة من الشمال بين القرنين الخامس والثامن الهجريين ، ووجهت الثقافة وانماط الحياة الاسلامية الى مسالك جديدة ، وضمت أراضي شاسعة وخلقت كيانات سياسيا استمرت حتى فجر العصر الحديث ، والثالث هو الغزو المسيحي الاوربي المضاد في القرن الحادي عشر ، والذي وصل قمته في

القرن التاسع عشر ، هذا الغزو هو الحقيقة الماثلة على أيامنا الحديثة ، فقد فرض مشكلات عسيرة مازالت تواجه الشعوب الاسلامية حتى اليوم .

ويعدد الكاتب البلاد التي اقتطعت من جسم العالم الاسلامي من أطرافه المختلفة ، الى ان كانت الحرب العالمية الاولى هي ذروة التحول في تاريخ المسلمين فقد اجتيحت ايران ، وفقدت تركيا كل امبراطوريتها ، ووطد الانجليز والفرنسيون أقدامهم وأحكموا سيطرتهم على الشرق الاوسط .

الا أن انتصار اليابان على روسيا عام ١٩٠٥ كان درسا وعاه الشرق وهز الغرب ، كان أحد

المعالم الهامة في تاريخ الشرق ، وبدأت الشعوب تتحرك تواقة الى التحرر والديمقراطية الحديثة .

وبهزيمة المحور في الحرب العالمية الثانية ، بدأ تحرر معظم شعوب العالم من السيطرة الغربية ورغم التغيرات الهائلة ، والاتجاه نحو التحديث وبخاصة في الحياة الاجتماعية ، فقد ظل العالم الاسلامي ضعيفا فقيرا بالنسبة للعالم المسيحي المتطور بصناعاته الحديثة ، الا أن ظهور البترول وتدفقه في بعض بلدان العالم الاسلامي اكسبها مكانة عظيمة بين بلدان العالم المختلفة ، لما تتمتع به من ثروات هائلة ولسيطرتها على عصب الحياة الحديثة ، ولاول مرة منذ قرون أصبح للمسلمين القدرة على اختيار حكوماتهم وتقرير مصيرهم . وعلى اختيارهم سوف يتأثر مجرى التاريخ ، سواء بالنسبة لهم أو لغيرهم ، لأجيال طويلة مقبلة .

تبقى كلمة اخيرة لابد منها ، فرغم الجهد الممتاز الذي بذل في اخراج الكتاب والمعلومات المختلفة الثمينة المتعددة الالوان ، فان القارىء المسلم لايفوته ان يحس أن بعض الكتاب اما أنه قد اخطأهم التوفيق او الفهم الصحيح ، او انهم تعمدوا التضليل والتحريف في بعض المواقف والمفاهيم ، نتيجة تحيزهم وحقدهم وسواء اكان الامر هذا او ذاك فان مسئولية المتخصصين من علمائنا ومؤرخينا ان يصححوا الغلط او يقوموا التحريف اينما وجد ، وكم كان يسعد القارىء المسلم ان يحس ويرى أن بعض هؤلاء المتخصصين قد اسهم في تاليف مثل هذا الكتاب وغيره من كتب مهرجان العالم الاسلامي .

ومع ذلك فالكتاب ممتاز ، مركز ، جمع التاريخ الاسلامي كله من اوله الى آخره ومن مشرقه الى مغربه ، موضحا حضارته وثقافته وعلومه ، وفنونه ومنجزاته للقارىء الاوربي .

محمد صالح الشوربجي